Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يكون من خلال هذا الغزو الثقافي بل لا بد « أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حية في أنفس أهلها ، ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته . متمكن في لسانه ولغته ، متذوق لما هو ناشئ فيه من آداب وفنون وتاريخ ، مغروس تاريخه في تاريخها وفي عقائدها ، في زمان قوتها وضعفها ، ومع المتحدر إليه من خيرها وشرها ، محساً بذلك كله إحساساً خالياً من الشوائب . ثم لا يكون التجديد تجديداً إلا من حوار ذكي بين التفاصيل الكثيرة المتشابكة المعقدة التي تنطوي عليها هذه الثقافة ، وبين رؤية جديدة نافذة ، حين يلوح للمجدد طريق آخر يمكن سلوكه ، من خلاله يستطيع أن يقطع تشابكاً من ناحية ، ليصله من ناحية أخرى وصلاً يجعله أكثر استقامة ووضوحاً ، وأن يحل عقدة من طرف ليربطها من طرف آخر ربطاً يزيدها قوة ومتانة وسلاسة »[1] وبذلك يكون التجديد – كما يقول الأستاذ شاكر : « حركة دائبة في داخل ثقافة متكاملة ، يتولاها الذين يتحركون في داخلها كاملة ، حركة دائبة ، عمادها الخبرة والتذوق ، والإحساس المرهف بالخطر عند الإقدام على القطع والوصل ، وعند التهجم على الحل والربط »[2] .

* * *

ذلك هو الإطار العام للتصور الكامل الذي طرحه الأستاذ محمود شاكر للحياة الثقافية في بلادنا في الثلث الأول من القرن العشرين ، والتي بنينا على أساسها تطورنا الثقافي والحضاري ، ولا نزال نبني على هذا الأساس حتى الآن . وهو بهذه الصيحة المدوية العميقة الحادة التي بثها في مطلع سفره الأول عن « المتنبي » يوشك أن يزلزل أساس هذا الصرح الشامخ الذي شدناه طوال قرن من الزمان ، وحسبناه صرحاً حضارياً أصيلاً ، فإذا بالأستاذ شاكر ، يصيح فينا بأعلى صوته : إن هذا الصرح الشامخ بنيتموه على غير أساس . وينطلق في ثورة عابسة متجهمة ليحطم بمعوله العاتي الضراوة ، أساس هذا الصرح .

وأعترف أن الأستاذ شاكر زلزلزل أعماقي ، ورج كياني ، واستفز عقلي ووجداني وحطم كثيراً من المسلمات في تفكيري ، وأوشك أن يقتلع تصوري العام

(١ –٢) محمود محمد شاكر – المتنبي (السفر الأول ص ٣٥) وقد استقينا كل النصوص الموجودة في هذه المقال من مقدمة السفر الأول التي سماها المؤلف قصة هذا الكتاب .